وإن يكونا مخرجًا تقاربا ... وفي الصفات اختلفا يُلقّبا
متقاربين أو يكونا اتفقا ... في مخرجٍ دون الصفات حُقِّقا
بالمتجانسين ثم إن سكن ... أوّلُ كلٍّ فالصغير سمِّينْ
أو حُرّك الحرفان في كُلٍّ فقلْ ... كلٌّ كبيرٌ وافهمنهُ بالْمُثُل

باب المد والقصر

س: وماذا عن باب المد والقصر، وما الأصل فيه؟

ج: الأصل في هذا الباب ما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه من حديث لفظه: كان ابن مسعود يقرئ رجلًا، فقرأ الرجل: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ مرسلة- أي: مقصورة- فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله. فقال: وكيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾، فمدها. رواه الطبراني [أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٧٧)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٥٥)، وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٣٧)]. وهذا الحديث نص في هذا الباب.

س: عرف المد لغة واصطلاحًا ؟

ج: المد لغةً: مطلق الزيادة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾، أي: يزدكم.

واصطلاحًا: إطالة الصوت بحرفٍ من حروف المد الثلاثة عند ملاقاة همز أو سكون.

ويقابله: القصر.

س: وما تعريف القصر في اللغة والاصطلاح؟

القصر لغةً: الحبس؛ لقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾، أي: محبوسات فيها.

واصطلاحًا: إثبات حرف المد من غير زيادة.

س: ما أقسام المد؟

ج: المد قسمّان: أصلي، وفرعي.

فالأصلي: هو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به ولا يتوقف على سبب من همز أو سكون، بل يكفي فيه وجود أحد حروف المد الثلاثة، وسمي طبيعيًا لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيد فيه ولا ينقص عن مقداره، ومقداره ألف، والألف حركتان، والحركة مقدار قبض الأصبع وبسطه، مثل: ﴿قَالَ﴾، ﴿يَقُولُ﴾، ﴿قِيلَ﴾.

والفرعي: هو المد الزائد على المد الطبيعي لسبب من الأسباب الآتي ذكرها.

س: وما أسباب المد؟

ج: للمد أسباب وشروط وأحكام:

فأسبابه: شيئان: أحدهما لفظي، والآخر معنوي.

فاللفظي: الهمز والسكون، والمعنوي: كقصد المبالغة في النفي، كالمد للتعظيم مثل:

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ونحو ذلك، ولا حاجة لذكر الأسباب المعنوية في هذه العجالة، وأما اللفظية فهي المقصودة هنا وهي -كما تقدم- همز أو سكون.

فالهمز سبب لثلاثة أنواع من المد: المتصل كـ ﴿جَآءَ﴾، والمنفصل كـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾، والبدل كـ ﴿ءَامَنُوا۟﴾.

والسكون: سبب لنوعين: العارض للسكون: كـ ﴿نَسْتَعِينُ﴾، واللازم بأنواعه -وسيأتي- كلمي وحرفي.

س: اذكر الأبيات الخاصة بأقسام المد وأسبابه من نظم التحفة؟

ج: والمد أصليٌّ وفرعيٌّ له ... وسمِّ أولًا طبيعيًّا وهو

ما لا توقّفٌ له على سببْ ... ولا بدونه الحروف تُجتلبْ

بل أيُّ حرفٍ غير همزٍ أو سكون ... جا بعد مدٍّ فالطبيعيُّ يكون

والآخرُ الفرعيُّ موقوفٌ على ... سببْ كهمزٍ أو سكونٍ مُنجِلا

حروفه ثلاثةٌ فعيها ... من لفظ وايٍ وهي في نُوحِيها

والكسر قبل اليا وقبل الواو ضم ... شرطٌ وفتحٌ قبل ألفٍ يُلتزمْ

واللِّين منها اليا وواوٌ سُكِّنا ... إن انفتاحٌ قبل كلٌّ أُعْلِنا

س: وما شروط المد؟

ج: شروط المد ثلاثة: ضم ما قبل الواو وكسر ما قبل الياء مع

سكونهما، والألف لا تكون إلا ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، ولا تكون إلا حرف مدٍّ ولينٍ، بخلاف الواو والياء فتارة يكونان حرفي مدٍّ ولينٍ -كما تقدم بالشروط السابقة، وتارة يكونان حرفي لين فقط وذلك إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما مثل: ﴿بَيْتِ﴾، و﴿خَوْفٌ﴾، وتسمى الواو والياء والألف حروف المد.

س: ما أحكام المد، وما أنواعه؟

ج: أحكامه: ثلاثة: الوجوب، والجواز، واللزوم، وأنواعه خمسة:

فالواجب: له نوع واحد، وهو المد المتصل، وهو ما جاء فيه بعد حرف المد همز متصل به في كلمة واحدة، مثل: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، ﴿سُوٓءَ﴾، ﴿سِيٓـَٔتْ﴾، وحكمه الوجوب؛ لإجماع القراء على مده زيادة على المد الطبيعي، وإن تفاوتوا في مقدار هذه الزيادة.

وحفص يمده مقدار أربع حركات أو خمس في الوصل، أما إذا وقف عليه فله زيادة على ما تقدم إلى ست حركات، وسمي متصلًا لاتصال الهمزة بحرف المد في كلمة واحدة.

والجائز: له أنواع كثيرة نذكر منها ثلاثة أنواع:

الأول: المنفصل: وهو ما جاء فيه بعد حرف المد همز منفصل عنه في كلمة أخرى، مثل: ﴿بِمَآ أُنزِلَ﴾، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

وحكمه: الجواز، لجواز قصره ومده. ولحفص فيه أربع حركات أو خمس كذلك.

قاعدة: إذا اجتمع مدان متصلان مثل: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ لا يجوز مد أحدهما دون الآخر، بل يجب التسوية، وكذلك إذا اجتمع مدان منفصلان، مثل: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ لقول ابن الجزري:

واللفظ في نظيره كمثلِهِ

ووجه المد هو: أن حرف المد ضعيف والهمز قوي فزيد في المد تقوية للضعيف عند مجاورة القوي. وقيل: للتمكن من النطق بالهمز لأنه مجهور.

الثاني: من الجائز: العارض للسكون، وهو ما جاء فيه بعد حرف المد أو اللين سكون عارض في حالة الوقف فقط، نحو: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، و﴿نَسْتَعِينُ﴾، ﴿بَيْتِ﴾، و﴿خَوْفٌ﴾، و﴿مَتَابِ﴾.

سمي عارضًا؛ لعروض المد بعروض السكون. وحكمه: الجواز لجواز قصره ومده، والمراد بالمد: ما يشمل التوسط، فالقصر حركتان والتوسط أربع والمد ست، ثم إن كان منصوبًا نحو: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ففيه ثلاثة أوجه: «القصر، والتوسط، والمد» بالسكون المحض فقط، وإن كان مجرورًا نحو: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ففيه أربعة أوجه، الثلاثة المتقدمة بالسكون المحض والرّومُ على القصْر، وإن كان مرفوعًا نحو: ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ففيه سبعة أوجه: الثلاثة المتقدمة بالسكون المحض والإشمام مع الثلاثة والروم على القصر.

هذا إذا لم يكن مهموزًا، فإن كان مهمزًا وهو منصوب نحو: ﴿شَآءَ﴾، و﴿جَآءَ﴾ ففيه المد أربع حركات وخمس وست بالسكون المحض، وإن كان مجرورًا نحو: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ففيه خمسة أوجه: أربع وخمس وست

بالسكون المحض، والروم على المد أربعًا وخمسًا، وإن كان مرفوعًا نحو: ﴿يَشَآءُ﴾، ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾، ففيه ثمانية أوجه: الثلاثة المتقدمة بالسكون المحض، والإشمام على الثلاثة، والروم على أربع وخمس.

واعلم أن الروم كحالة الوصل في مقدار الحركات، فإن وصل بحركتين فالروم يأتي على حركتين، وإن وصل بأربع أو خمس فإنه يأتي على ذلك.

س: ما تعريف الروم؟

ج: الروم: هو الإتيان ببعض الحركة بصوت خفي يسمعه القريب دون البعيد، ويكون في المرفوع والمضموم والمجرور والمكسور.

س: عرف الإشمام؟

ج: الإشمام: هو إطباق الشفتين بعد الإسكان وتدع بينهما انفراجًا ليخرج النفس بغير صوت، وذلك إشارة للحركة التي ختمت بها الكلمة، ولا يكون إلا في المرفوع والمضموم.

ولا يدخل الروم والإشمام في المنصوب ولا في هاء التأنيث الموقوف عليها بالهاء نحو: ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ و﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾، بخلاف ما يوقف عليها بالتاء، كالوقف على التاء من ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾، ولا يدخل كذلك فيما كان ساكنًا في الوصل، نحو: ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾، ومنه ميم الجمع، ولا في عارض في الشكل نحو: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾، ﴿قُلِ ٱدْعُواْ﴾. أما هاء الضمير فاختلف فيها، فجوزهما فيها بعضهم مطلقًا، ومنعهم

بعضهم مطلقًا، وبعضهم فصل: فمنعهما فيها إذا كان قبلها ضم أو واو ساكنة نحو: ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾، و﴿عَقَلُوهُ﴾. أو كسر، أو ياء ساكنة نحو: ﴿بِهِۦ﴾، و﴿فِيهِ﴾، وجوّزهما إن لم يكن قبلها ذلك بأن انفتح ما قبل الهاء أو وقع قبلها ألف أو ساكن صحيح نحو: ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾، ونحوها.

س: وما حكم الإشمام؟

ج: حكمه: اللزوم للزوم مده ست حركات من غير زيادة ولا نقص عند جميع القراء، وفي الوقف عليه إن كان مرفوعًا نحو: ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ ثلاثة أوجه: السكون المحض والروم والإشمام، وإن كان مجرورًا نحو: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ ففيه وجهان: المد ست حركات والسكون المحض والروم، وإن كان منصوبًا مثل: ﴿صَوَآفَّ﴾ ففيه وجه واحد: السكون المحض.

س: اذكر الأبيات المتعلقة بأحكام المد من تحفة الأطفال؟

ج: للمد أحكامٌ ثلاثةٌ تدوم ... وهي الوجوب والجواز واللزوم

فواجبٌ إن جاء همزٌ بعد مدْ ... في كلمة وذا بمتصل يعد

وجائزٌ مدّ وقصر إن فصل ... كلٌّ بكلمةٍ وهذا المنفصلِ

ومثل ذا إن عرض السكون ... وقفًا كتعلمون نستعين

أو قدم الهمز على المد وذا ... بدل كآمنوا وإيمانًا خذا

ولازمٌ إن السكون أُصلًا ... وصلًا ووقفًا بعد مدٍّ طولًا